مُهِمَّاتٌ تربويَّة

رمضان ١٤٤٦ من الهجرة النبوية

تقديم

أنا هيد بنت عيد السمبري

غفر الله لها ولوالديها

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.
- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- الكمال لله -عزَّ وجلَّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

اللقاء العشرون يوم الخميس 20 رمضان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، ونسأله بمنّه وكرمه أن يجعل القرآن الكريم ربيعًا لقلوبنا ونورًا لصدورنا وجلاءً لهمومنا، اللهم آمين.

ونسأله -عزَّ وجلَّ- أن يجعلنا من أهل العافية الذين عافاهم في دينهم ودنياهم، عافى قلوبهم فطهرها، وعافى أبدانهم فقواها على طاعته. نسأله -وهو المنان- أن يعطينا حولًا وقوة لإحياء هذه العشر المباركات، وأن يجعلنا ممن وفق لقيام ليلة القدر، وأن يجعلنا ممن يخرج من هذا الشهر معتوقًا من النار، امتلأ قلبه إيمانًا، وزاد يقينًا، وانتفع من كلام رب العالمين، اللهم آمين.

لا زلنا في هذه المهمات التربوية نناقش ما يتيسر لنا مما ورد في كتاب الله -عزَّ وجلَّ- علَّمنا هو رب العالمين. نناقش أمورًا مهمة يجب أن نبقى ذاكرين لها لأجل أن نكون من

أهل العافية، فإن لكل شيء سببًا، ولو سألت أهل الدنيا والناس جميعهم: كيف تأتي عافية البدن؟

فيصفون لك أوصافًا هي بمثابة الأسباب التي تؤدي إلى العافية. فإذا كان البدن له أسباب يصل بها الإنسان إلى العافية، فالنفس والروح من باب أولى أن يكون هناك أسباب نصل بها إلى العافية.

هذا مقصد هذه المهمات التربوية: لفت النظر إلى الأسباب الصحية التي تكون بها النفس صحيحة سالمة، وإن كان هناك ضعف في قوة النفس، يزول الضعف وتقوى النفس، وإن كان في النفس قوة فتزداد قوة إلى قوتها بهذه الأسباب.

كنا مررنا في النقاش الماضي على قضية من أهم القضايا، وذكرنا أنها تعتبر القضية الأم، وهي طهارة القلب التي لا بد أن ندعو بها، خصوصًا في هذه الأيام المباركات التي تزداد فضيلتها عن كل أيام العام، العشر الأخيرة، ندعو لقلوبنا بالثبات وبالطهارة، وكان هذا الأمر مهمًا، كما تبين معنا، لكون أن طهارة القلب تعني طهارة الإناء الذي يُجمع فيه

الماء، فلبقاء هذا الماء صافيًا، ولبقائه طاهرًا لا بد أن يكون الإناء طاهرًا، اللهم طهر قلوبنا.

ولنعلم أن من لطف الله -عزَّ وجلَّ- بخلقه أن أعلمهم أن هذا القلب، الذي هو محل نظر الرب، الذي له مكانة عظيمة، فهو سبب نجاة الإنسان، حين تتخلف الأموال ويتخلف الأولاد، وحين تتخلف كل الأسباب التي كانت تنفع، يتقدم هذا السبب: (إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ).

مِن لطف الله بنا أن أخبرنا أنه -سبحانه وتعالى- يبتلي الإنسان ليطهر قلبه، يبتليه ليظهر له شيء مما في نفسه يحتاج أن يعالجه، أو يبتليه فيظهر صِدْقه، وتظهر قوة إيمانه، فيكون هذا سببًا لمزيد من الثبات، ومزيد من عطاء رب العالمين، ويرى الإنسان حين يبتلى فيظهر إيمانه، يرى من الله كل خير فيعرف أنه سائر على الصراط المستقيم، ويعاين هو بنفسه نتائج وجود الإيمان في قلبه. حين يبتلى ويظهر منه الإيمان ويظهر من ربنا التأييد ويرى كيف يكون طعم السلامة.

هذه المعاني كلها ستكون ظاهرة في مطلع سورة عظيمة من سور القرآن، وكل سور القرآن عظيمة، **سورة العنكبوت**، التي من اسمها يظهر أن الناس ربما اعتمدوا وركنوا إلى بيت مثل بيت العنكبوت، لا يحميهم من حر ولا برد، ولا ريح ولا مطر، ربما ركنوا إلى أقوالهم ودعواهم، ربما ركنوا إلى أموالهم وبنيهم، ربما ركنوا إلى من يعتقدون أنهم ينفعونهم أو يضرونهم، وفي كل هذا يكونون قد غرهم الشيطان فأوهمهم أن بيت مثل بين العنكبوت يمكن أن يحميهم.

هذه السورة العظيمة ابتدأت ببداية مختلفة وخاصة، يظهر فيها لطف رب العالمين في تصحيح المفاهيم، افهم الأمر كما ينبغي ولا تتشتت.

هذا إجمالي المفهوم، ونشير من خلاله إلى هذه المهمة التربوية.

نبتدئ أولًا بسماع مطلع السورة، سيكون نقاشنا حول الآيات في مطلع السورة من الآية الأولى حتى الآية السابعة:

(الم (1) أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (3) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (4) مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (5) وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (6) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ)

هذه الآيات المباركات ابتدأت هذه البداية البديعة المختلفة بعد الحروف المقطعة، وقبل أن نشير إلى هذه البداية نريد أن ننبه على أمر معلوم في السور التي تبدأ بالحروف المقطعة: غالب السور التي تبدأ بالحروف المقطعة يكون فيها إشارة للكتاب العزيز، لهذا القرآن.

ومقصد الحروف المقطعة بالإجمال: إظهار أن هذا الكتاب من هذه الحروف، ومع ذلك ما استطعتم أن تأتوا بمثله، غالب سور القرآن التي فيها حروف مقطعة يأتي فيها الكلام عن الكتاب، ما عدا ثلاثة سور ما أتى الخبر عن الكتاب في

بداية السورة، وهي: سورة مريم وسورة العنكبوت وسورة الروم. لكن هذا لا يعني أنه لا يشار إلى الكتاب في نفس السورة، بل يشار إلى الكتاب، مثلا في العنكبوت في الآية: (51) قال تعالى: (أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ)، هذا للفائدة.

نعود إلى مطلع هذه السورة وما فيها من استفهام إنكاري ينكر هذا التصور: أن يتصور الإنسان أنه سيبقى في الدنيا يدّعي بلسانه ويُقبل ادعاؤه ويصنف على حسب ادعائه، وهذا أمر بين الناس طبيعي؛ لأني لا أستطيع أن أشقّ قلب الإنسان وأعلم ما وراء ادعائه، وهو يتكلم لا أستطيع أن أعرف، لكن رب العالمين ما ترك الخلق يُخدعون بأنفسهم، ويخدع بعضهم بعضًا ويخدعهم الشيطان، لا والله!

من لطفه بنا أعلمنا كيف سيعاملنا لينجينا من الاغترار بأنفسنا والاغترار بالشيطان، فرب العالمين ابتدأ هذه السورة بإنكار هذا الحسبان، هذا الظن، هذا التصور، لا تحسب الأمر بهذه الصورة، وإنما فليعلم صاحب القول، وليعلم الناظر لصاحب القول إن الدعاوى يسيرة، لكن لا يُترك

الناس ودعواهم، بل لا بد أن يكون هناك ما يبين حقيقة الدعوى، وهذا لصالح الإنسان وصالح المجتمع.

تكون المهمة التربوية هي: أن نعرف ونكرر ونبين أن الدعاوى لا تروج على الله وعلى المؤمنين، وإنما رب العالمين -بلطفه- يبين حقيقة الإنسان لنفسه أولًا ثم للخلق حوله لأجل ألا ينخدعون منه. وسيتبين لنا لماذا نؤكد أنه للخلق حوله.

رب العالمين هنا أخبرنا في مطلع السورة بعد الحروف المقطعة إنكار هذا الحسبان، وهو أن يترك الناس أن يقولوا: "آمنا" وهم لا يفتنون، هذا الأمر لا يليق بحكمة الله -عزَّ وجلَّ- لا يليق بحكمة الله أن يترك مدّعي الإيمان ومدّعي الصلاح ومُدّعي الاستقامة يدّعون هذه الدعوى ولا يبين لهم ولمن حولهم حقيقة هذه الدعوى. لا بد من الفتن والمحن التي تبين القلب الطاهر من غيره، بل التي تطهر القلب، وهذا مقصد.

الفتن لا تذهب الإيمان، من معه إيمان الفتن تُظهر إيمانه وتنقيه وتطهره من دَخَلٍ دَخَل عليه. أما الذي ليس معه إيمان

سيكتشف نفسه، سيكتشف أن هذه حالته، فهو المنتفع بهذا الأمر. لا بد أن يأتي ما يشوش على الإنسان، ربنا يبتليه بما يشوشه لتحصل هذه المناقشة في القلب وهذه المجادلة وهذا الحوار إلى أن نلزم النفس بالحق.

تكون تصلي وفيك خشوع، ومن ابتلاء الله لنا بالشيطان، يأتيك هذا الوسواس أن من حولك قد وقع في قلبهم أنك خاشع، يلفتك عن الله لهذا الأمر، أو عكس ذلك أنك خاشع لأجل الناس، وهذه كلها من وساوس الشيطان وهو ابتلاء علينا. تصور هذا النقاش الذي يكون حين يفهم الإنسان أنه لا بد أن يختبر ويمتحن بما في قلبه، ويظهر ما في قلبه، ويطهر القلب إن كان فيه دَخَل، فيقول الإنسان لنفسه: "ماذا تريد؟ تريد هؤلاء الذين سيفارقونك الساعة؟ ماذا يعني التفاتهم لك؟ ماذا يعني أنهم يظنون أنك تخشع؟ هؤلاء لا ينفعون ولا يضرون، (أُفٍّ لَّكُمْ)."

هذا الحوار والنقاش وإلزام النفس بالحقيقة مصلحة عظيمة يصل إليها الإنسان في تربية نفسه، هذه المصلحة من وجود الوسواس أصلًا، الشيطان ووسوسته لله الحكمة البالغة فيها،

ومن ذلك أن الإنسان يعرف نفسه، والإنسان يعرف أين ضعفه، والإنسان يعرف أن الله قوّاه على عدوه، فيطلب العون دائمًا من رب العالمين، لكن لو بقي الأمر ما فيه ابتلاء واختبار، لم يتميز الصادق من الكاذب ولا المحق من المبطل، وهذا لا يكون في دين الله.

سنة الله وعادته في الأولين والآخرين أن يبتليهم بالسراء والضراء والعسر واليسر، والمنشط والمكره، والغنى والفقر، وتمكن العدو منه أو الانتصار، كل هذا من الابتلاءات التي أخبر الله -عزَّ وجلَّ- أنها كانت ولا زالت (وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) هذا إنما هو لإظهار ما في النفوس.

بمعنى أن هذا البلاء إنما يبتلي الله -عزَّ وجلَّ- به الإنسان لأجل أن يظهر صدق الإنسان أو كذب هذ الإنسان، وهذا الظهور لصدقه وكذبه ظهور للإنسان نفسه وظهور للحساب.

حين تقرأ هذه الآية وتسمع قوله تعالى: (وَلَيَعْلَمَنَّ) تُفاجأ أن الفتنة مقصدها أن يعلم الله، نحن مؤمنون أن الله يعلم السر

والنجوى، يعلم ما كان وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون. فكيف هذا الابتلاء يكون لكي يعلم الله؟

الجواب: أن العلم هنا ليس المقصود به الذي يسبقه الجهل -حاشا لله- فالله بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، أحاط بعلمه -سبحانه وتعالى- كل شيء، السرائر والضمائر.

هذا العلم الذي يراد هنا في الآية -والله أعلم- ما يسميه أهل العلم علم الظهور، يعني أن الله يبتلي ليظهر حقيقة ما في نفس الإنسان، فيكون الإنسان على نفسه بصيرة، فلا يأت يوم القيامة بالمعاذير، ولو ألقى معاذيره فإن هذه المعاذير لا تقبل.

الإنسان على نفسه بصيرة، شاهد على نفسه، شاهد نفسه وهي تفتن، شاهد نفسه وقد جاءت الشبهات المعارضة للعقيدة، شاهد نفسه وهي قد مر معها الشهوات المعارضة للإرادة ورأى نفسه -إن كان من الثابتين- عند ورود الشبهات قد ثبت إيمانه ولم يتزلزل، وشاهد نفسه وهو يدفع هذه الشبهة ويناقشها بما معه من الحق، ويبحث ويفكر، وشاهد نفسه لما وردت الشهوات التي تدعوه إلى المعصية وإلى الذنوب،

شاهد نفسه كيف أنه عمل بمقتضى إيمانه وجاهد شهوته، فتبصّر في نفسه ورأى لطف ربه، وتمسّك بحبله، واستغاث واستعان، وأظهر الذل والانكسار بين يدي الله لينجيه كما كان من يوسف -عليه السلام- وهو النموذج الذي عُرضت عليه الفتن الخطيرة، فتنة النساء. فما كان منه في هذا البلاء إلا أن أظهر صدق ما معه من إيمان، كيف وقد استبق الباب؟ كيف وقد قال: (رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ) على نفسه بصيرة، قال: (إِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ (33) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ)، الإنسان على نفسه بصيرة، إذا جاءت هذه الابتلاءات، الشبهات المعارضة للعقيدة أو الشهوات المعارضة لإرادة وجه الله وامتثال أمر الله ستظهر حقيقة هذا الإنسان، إن كان عند ورود الشبهات تؤثر في قلبه ويأتي الشك ويأتي الريب ويتمادى معه ولا يسأل ربه أن يطهر قلبه، وحين تأتي أدنى فرصة للشهوات تجده يسارع لها، أو تأتي الشهوات فتمنعه من الطاعات، أقل شيء يفتنه ويجعله يدخل في الحرام، فالإنسان على نفسه بصيرة، يتصرف بهذه الطريقة، هذا دال على ضعف إيمانه وقلة صِدْقه، والناس في

هذا المقام درجات لا يحصيها إلا الله، فمستقلّ ومستكثر، فنسأل الله أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وأن يثبت قلوبنا على دينه، فالابتلاء والامتحان للنفوس بمنزلة الكير، يخرج خبثها وطيبها، ينقيها، ويبقيها جوهر.

هنا نلحظ ملاحظة مهمة تردنا مرة أخرى إلى موضوع من المواضيع المهمة في التربية وهو **موضوع الصدق** (فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ)، عند كل فتنة ينقسم الناس إلى قسمين: صادق وكاذب.

إنسان صادق، صدق مع نفسه، وظهر له ضعفه، ظهر له فقره، ظهر له نقطة ضعف عليه أن يحارب فيها، فهذا باذل لجهده في فحص الأمر وفي التفكير فيه وفي مواجهة نفسه، وفي طلب النجاة لها، فهذا قد صدق في دعواه الإيمان، وهذا تجده في المواقف يصرح لنفسه بالحقائق التي تدفع الشبه، ويصرح لنفسه "إن هذه نقطة ضعفي في الشهوات، يجب ألا أعرّض نفسي لها." أو حتى لنعمم البلاء ونتصور لأن البلاء يأتي في الرخاء كما يأتي في الشدة، حين يأتي البلاء في الرخاء وينعم الله بالمال، هل ستكون مثل داوود وسليمان

-عليهما السلام-؟ أو ستكون مثل قوم سبأ، أو مثل قارون، أو مثل فرعون؟

فأنت مُختَبر، هل ستعد ربنا بالإنفاق ثم حين يعطيك، وهو ما أعطاك إلا ابتلاء واختبار ليُظهر ما في قلبك من صدق هذه الدعوى.

لذلك في سورة التوبة قد أخبر -سبحانه وتعالى- عن هؤلاء القوم الذين عاهدوا الله (لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ) وتصور هذا التوكيد منهم، ثم يعطيهما الله صالحًا؛ لأنهما قالا: (لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (75) فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ) سبحانه وتعالى، ماذا فعلوا؟ (بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ) هذا ما حصل منهم.

في التوبة: (فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ)، الذي عاهد ووفى بعهده، الذي عاهد وبذل جهده أن يفعل ما يستطيع ليصل لهذا، سيعقبه الله إيمانًا في قلبه وانشراحًا في صدره، فالابتلاء سنة الحياة، والابتلاء سبب لكشف مخبآت القلب، وقتها يكرم من أكرم نفسه وصانها ولم يهنها، أو يهان؛ لأن عند الامتحان يكرم المرء أو يهان.

إذًا سيفتن الإنسان وسيظهر ما في قلبه، ويكتشف الإنسان نفسه ويكون على هذا الذي ظهر الحساب (فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ) بفتنة هؤلاء وبما ظهر منهم علم يسميه أهل العلم علم الظهور، كما كان يعلم ذلك علمًا غيبيًا، ويظهر الله -عزَّ وجلَّ- للعباد حقائقهم ولو بالغوا في سترها. فتظهر هنا الحقائق؛ لأن الناس عادة يظنون بنفسهم أنهم عند الابتلاء سيثبتون، ويظن أنه إذا أخفى عمله لا يطلع عليه أحد، فالله -عزَّ وجلَّ- يطلع الخلق على ما في قلب هذا العبد، لماذا يفضح العبد؟ نعوذ بالله من الخزي، هذا الذي كان إبراهيم -عليه السلام- يخافه، (وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ) فيخرج من قلبي شيء يسبب الخزي، (يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ).

يستوعب الإنسان أنه يبتلى حتى يعرف نفسه، فدائمًا يقول: "لو كنت مكان فلان ما فعلت كذا، لو كنت مكان علان ما تصرفت بهذه الطريقة، لو كنت مكان فلان لأمسكت نفسي عن الغضب" ودعوات مطلقة! والإنسان يسير في الحياة يرى نفسه معيارًا للكمال، أنه هنا أو هنا أو هنا سيكون

متصرفًا بالتصرف السليم. هل تدعي هذا؟ أنت الذي أتيت به لنفسك، سيأتيك البلاء الذي يبين لك، قبل أن يبين لغيرك، حقيقتك.

يقول الإنسان: "لو كان عندي مال لا أترك هؤلاء من غير أن أطعمهم وأسقيهم"، فيأتي المال ويبخل به! كما في آية التوبة. الناس مختلفون، يبتلى بعضهم بالرخاء فيكون بَرًّا شكورًا، ويبتلى بالضراء فيكون حُرًّا صبورًا.

وهناك أناس، والعياذ بالله، ينتكسون على وجوههم، يظهر كذبهم، يعبدون الله على حرف، إن أصابهم خير اطمأنوا به وإن أصابتهم فتنة انقلبوا على وجوههم، وكانوا يظنون في نفسهم خيرًا.

وهنا لا بد أن نعرف أن الذي يجاهد فيطيع في السراء والضراء سيكون له شأنه، والذي يهمل هذا ففي السراء ليس بشاكر وفي الضراء ليس بصابر، فهذا ظهر كذبه؛ ولذا رب العالمين يقول: (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ).

نركّب هذا المعنى من جديد على الاستفهام السابق الذي فهمنا منه أن هذا التصور خطأ، لا تتصور أنك يمكن أن تدعي وتقول: "لو كان عندي جيران لكنت أكرمتهم، لو عندي ضيف قدمت له، لو كان عندي مال كنت تصدقت به"، تحسب أنك تدّعي هذه الادعاءات وتُترك؟ لا والله! بل ستبتلى وتعرف نفسك.

يوجد حسبان آخر عند هؤلاء الذين كذبوا، ووصفهم الله -عزَّ وجلَّ- بأنهم يعملون السيئات، هذا الحسبان باطل، هذا الحسبان أن الله لا يقدر عليهم، ولا يعلم أعمالهم في الدنيا، خصوصًا أنهم يرون أنهم قائمون على المعاصي والله قائم عليهم يعطيهم ويغذيهم، كيف يحسبون هذا الحسبان؟! هؤلاء الذين يعملون السيئات يحسبون أن الله لا يحاسبهم، أي يسبقون، يفوتون فوت السابق لغيره، فيعجزون الله -حاشا لله- كأنهم يعتقدون أن الله لا يقدر عليهم في الدنيا بإمضاء ما قدره عليهم، وفي الدار الآخرة أن الله لا يحييهم بعدما أماتهم.

(سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) ما أسوأ هذا التفكير؛ لأن الإنسان -حتى لو هو ضعيف العقل- لا يرضى لعبيده أن يظلم بعضهم

بعضًا ثم لا ينصف بينهم، فكيف يرضون في رب العالمين ما لا يرضيه. بسبب هذا الحسبان الثاني الله منعم عليهم وهم عن الله تمامًا غافلون، وعن مراضيه ملتهون فظنوا أنهم بهذه النعمة يستطيعون أن يسبقوا ولا يقع عليهم عذاب، فأبطل الله هذا الحسبان، ولما أبطله بيّن -عزَّ وجلَّ- قرب ظهور النتائج الحقيقية. يا لها من ساعة عسيرة صعبة إلا على من يسرها الله له، ساعة عصيبة تلك التي تعلن فيها النتائج ويظهر الصادق من الكاذب، وتظهر معاملة الله لعباده بالمغفرة والشكر فإنه غفور شكور. في تلك الساعة يكون لقاء الله، ما أعظمها من ساعة تظهر فيها النتائج.

فهؤلاء المشتغلين عن هذه الساعة يحسبون هذا الحساب، يحسبون أن يسبقوا رب العالمين، يحسبون أن أعمالهم ستُهمل وأن الله سيغفل عنهم أو يفوتونه، بهذه الصورة! فرب العالمين يقول: (مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ) أنت أيها المحب لربك، المنتفع بأيامك ولياليك في رحلتك إلى الله، الناظر لرحلة الموت بأنها منتهى الشوق، نهاية حياة المشتاق لربه، المسارع في مرضاته. أنت أيها المحب أبشر بكل خير، أبشر

بقرب لقاء الحبيب فإنه آتٍ، وكل آتٍ إنما هو قريب، لكن هذا اللقاء لكي يكون لقاء خير، انتفع من الفرص التي عندك، واجعل كل الفرص زيادة للإيمان وطهارة للوجدان. اجعل كل الفرص التي تأتيك فرص للإخلاص والعمل لله، الخشوع في الصلاة، تلاوة القرآن.

إذا طلبت من رب العالمين أن يبلغك رمضان، فاجتهد في الانتفاع من رمضان. وهكذا كل دعوى يدعيها الإنسان لا بد أن يظهر الاجتهاد في هذه الدعوى ليكون من الصادقين.

(فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ)، فلتعلم علمًا يقينيًّا أن أجله آتٍ فلتكن مستبشرًا بذلك وحذرًا في نفس الوقت، لا محيص من لقاء رب العالمين، والله لا يخلف وعده، والأيام والليالي تقطع بك المسير حتى تصل إلى رب العالمين.

(وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) يسمع الأصوات، يسمع هذه الدعاوى، عليم بالنيات، فمن كان صادقًا في نيته، عازمًا على الخير، آخذًا بأسبابه، أعانه أعظم إعانة، ومن كان كاذبًا لم تنفعه هذه الدعوة، بل سيفضح ويظهر حاله، وهو -سبحانه وتعالى-

عليم بهذه الأحوال جميعها وتفاوت الناس فيها -سبحانه وتعالى-

وهنا تأتي هذه **القاعدة الذهبية للطهارة القلبية** ولسلوك مسلك الحق

(وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ)

- النفع ليس إلا للعامل.

(إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) لا يخطر في بالك أن الله تنفعه طاعة الطائعين، أو تضره معصية العاصين، لا والله، بل إن الله -عزَّ وجلَّ- لا يحتاج إلى أحد، وكل أحد محتاج إليه.

تأتي في هذه الأوقات التي سيقبل فيها الإنسان على ربه، سيأتي من الأحوال والأهوال ما الله به عليم، فالذي يجاهد هنا في الدنيا إنما يجاهد لنفسه، ومن أراح نفسه في الدنيا فإنما ضر نفسه. من جاهد وبذل جهده فإنما يجاهد لنفسه لأن نفع ذلك له، فهو يتعبها ليريحها -وكما يقولون- ويشقيها ليسعدها ويميتها ليحييها. هذه هي الحقيقة: أن هذا الجهاد في تزكية النفس وتطهير القلب كله سيحكى ويقصّ، كما مر معنا في أوائل سورة الأعراف، أخبر الله -عزَّ وجلَّ-: (فَلَنَقُصَّنَّ

عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ) قصتك هذه كلها التي جاهدت فيها نفسك وطهّرت فيها قلبك وناقشت فيها فؤادك وأعدت وزدت حتى امتلأ القلب بالحق وسألت الله أن يثبتك، وخفت من نفسك، كل هذا أتظن هذه القصة أن تترك وتهمل؟ لا! سيقص الله عليك قصتك، فأنت اختر أن تكون قد جاهدت وقد دافعت عن نفسك كل الوساوس، وكنت في كل حال مجاهدًا لنفسك في حال النعمة من الملل والبطر، وكنت في حال الضيق والنقص والضراء، كنت في حال الصبر.

ولتعلم ما أخبر الله به عن نفسه لما أرشدك الطريق الذي تنجو به، (إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) -سبحانه وتعالى- غني مستغنٍ عن مجاهدة المجاهدين، وإصلاح المصلحين، غني عن كل الطاعات والعبادات، وإنما نفعها عائد على الإنسان.

(وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (6) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) يا لها من بشرى، (لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ) هناك سيئات لكن مع البذل لطهارة القلب والمحاولات المتكررة لمنع النفس من شهواتها، والمحاولات المتكرر لمنع النفس من الملل في النعمة، أو

يمنع نفسه من الإقبال على شهوة، كل هذا سبب أن تُكفر سيئات قد وقع فيها الإنسان قاصدًا أو غير قاصد، رب العالمين يكفر هذه السيئات بالإيمان والأعمال الصالحات التي سبقت للإنسان والتي مات عليها.

(وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) يا له من وعد عظيم! يَعِد المؤمنين أنه سيجزيهم أحسن الذي كانوا يعلمون.

المتقرّب إلى رب العالمين يختار أن يحسن في أعماله، يبذل جهده أن يحسن في أعماله لأجل أن يكون من هؤلاء (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ).

يبقى علينا نقطة أخيرة نؤكد فيها أن المصلحة من إظهار ما في القلب تعود على الإنسان نفسه، وتعود أيضًا على المجتمع، في الآية: (11) قال تعالى:

(وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ) معنى هذا أن الإنسان سينتفع من إظهار ما في نفسه وأيضًا سينتفع من أن يظهر ما في قلوب الخلق حوله وهم في مثابة القيادة، أو في مثابة المرشدين أو المفكرين، أو حتى المستشارين لك. حين تأتي الابتلاءات (وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ) يكون لا إيمان لهم، لكن

يظهر كأن عندهم إيمان، يخدعون المؤمنين، فالله لما جعل سنّته هذه ماضية، وهي الابتلاء، دلّ أهل الإيمان على المصالح من وراء هذا الابتلاء، تعرف نفسك، تعرف الناس الذين حولك، وخير كثير من وراء هذا الابتلاء.

نسأل الله -عزَّ وجلَّ- أن يجعلنا ممن إذا ابتلي بالنعماء شكر، وإذا ابتلي بالضراء صبر، اللهم اهدنا وسددنا، اللهم آمين.

نسأل الله أن يعيننا على إحياء هذه العشر، وأن يبلغنا ليلة القدر، اللهم آمين.